العرب
الجمعة 2019/08/30
السنة 42 العدد 11452

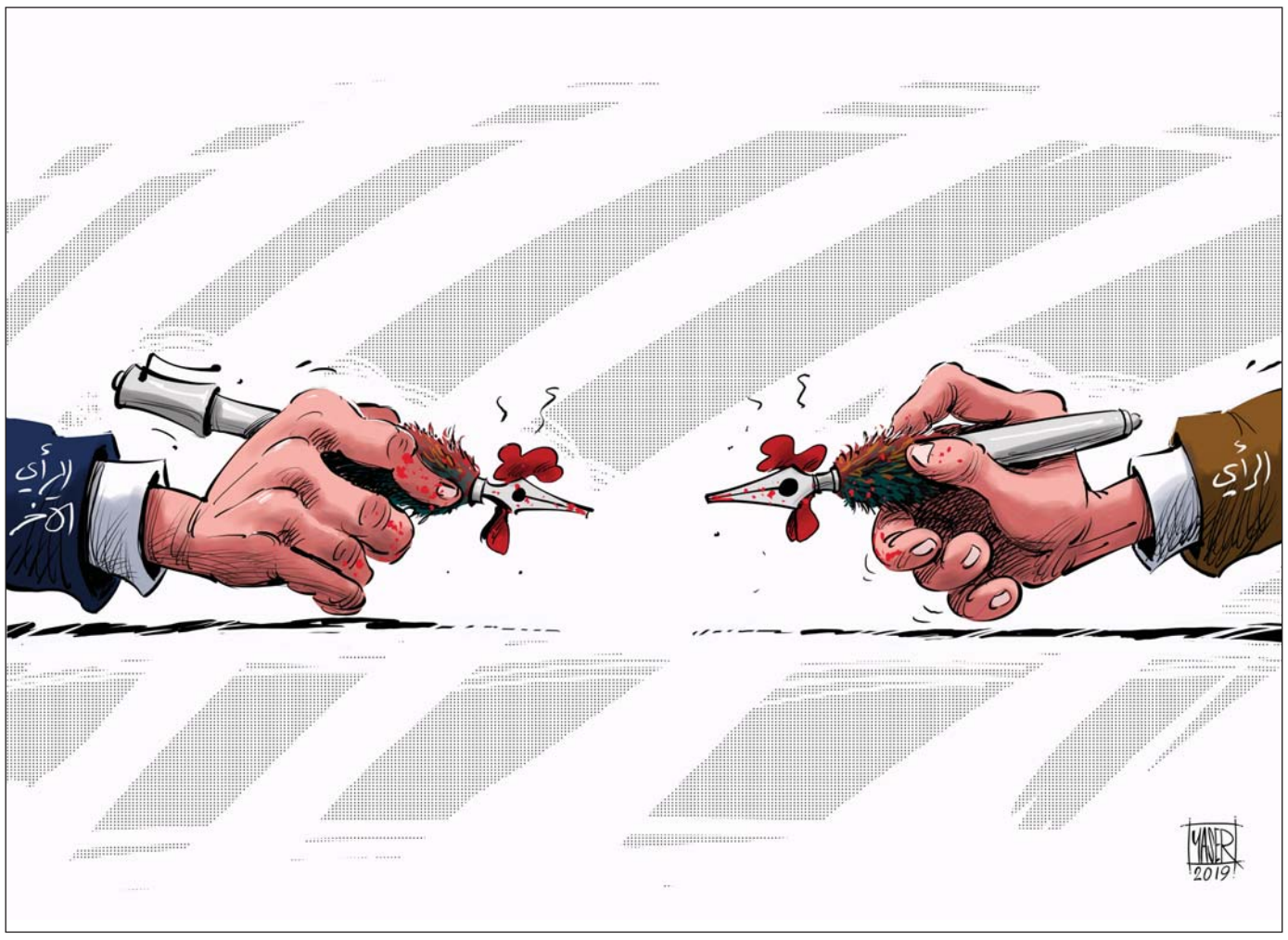

ماكرون وترامب في ثرثرة على ضفاف الكارون

فاروق يوسف
كاتب عراقي

يركز الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، على الاتفاق النووي فيما صار ذلك الاتفاق بالنسبة للولايات المتحدة جزءا من الماضي.

حقيقة الانسحاب الأميركي من ذلك الاتفاق تؤكدها العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران والتي حاول الأوروبيون القفز عليها وفشلوا.

أما ترحيب الرئيس الأميركي دونالد ترامب بلقاء الرئيس الإيراني حسن روحاني فإنه لا يعدو كونه استعراضا لا يعول عليه في ظل بقاء الشروط الأميركية أساسا لأية مفاوضات بين الطرفين. وليست هناك إمكانية لعقد تلك المفاوضات في ظل تلك الشروط.

ما تفكر فيه فرنسا من خلال رئيسها شيء، وما يعرضه الأميركان على الإيرانيين شيء آخر.

فلا عودة إلى الاتفاق النووي الذي وقعت عليه الولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق باراك أوباما. ذلك مؤكد غير أن تلك المسألة لا تمثل المشكلة كلها.

هناك سلة من المشكلات التي يعتقد الأميركان أنها تفرعت عن مشكلة الاتفاق النووي بسبب قصر النظر في التعامل مع إيران، كونها قوة توسعية تقوم سياستها على استدراج منطقة الشرق الأوسط إلى الفوضى.

تلك حقيقة يخشى الإيرانيون أن يواجهوها. لذلك يجد الرئيس الإيراني روحاني أن لقاءه بالرئيس الأميركي لن يكون ذا نفع لبلاده.

الولايات المتحدة لا تقف وحدها في مواجهة السياسة التوسعية الإيرانية القائمة على تمويل الميليشيات الشيعية المسلحة التي صارت جزءا من الواقع السياسي القائم في اليمن والعراق ولبنان. وهي دول كُتب عليها أن تفقد قدرتها على أن تُسيّر نفسها بنفسها بعد أن تم ربطها بالحرس الثوري الإيراني، ومن خلاله بالولي الفقيه.

من المؤكد أن السعودية ومعها دول الخليج ومصر من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، تقف مع الولايات المتحدة في موقفها المتشدد ضد السياسة الإيرانية.

ولكن ينبغي عدم النظر إلى ذلك الاتفاق في الموقف بين الدول العربية وإسرائيل على أنه نوع من المؤامرة. ذلك كلام ينتمي إلى عالم غطت فيه الشعارات الكاذبة والمحتالة على الحقيقة.

لا ترغب الدولة العبرية في أن تكون إيران جارة لها. ذلك أمر مؤكد. لكن العرب مجبرون بسبب الجغرافيا على أن تكون إيران جارتهم.

وإذا ما عدنا إلى الشعارات الإيرانية المعادية لإسرائيل فإنها تنص على أن الحرب على إسرائيل لن تبدأ إلا بعد ابتلاع الجزء الشرقي من العالم العربي. علينا أن نتذكر أن طريق القدس يمر بكربلاء حسب الرواية الإيرانية. إسرائيل تفكر في خطر مستقبلي، أما العرب فإن حاضرهم هو المهدد.

وإذا ما كانت الولايات المتحدة تأخذ في عين الاعتبار مخاوف إسرائيل والدول العربية من الخطر الإيراني، فإنها ترى أيضا ضرورة في أن لا تقع معادلات الشرق الأوسط في قبضة إرهابيين حكموا على الحياة في إيران بالعدم وقرروا أن ينشروا تلك التجربة في أنحاء الشرق الأوسط.

لذلك يمكن القول إن ماكرون يسخر من نفسه حين يبدو بريئا وهو يعالج مشكلة إيران من جهة كونها اختلافا على الملف النووي. الرئيس الأميركي هو الآخر عرف كيف يداعب إيران المذعورة برغبته في لقاء الرئيس الإيراني.

وإذا ما كان الرئيس روحاني لم ينخرط في المشهد المسلي فلأنه يدرك أن الكارثة التي تعصف ببلاده بسبب العقوبات لا يمكن أن تنتهي إلا من خلال قرار لا يملك القدرة على اتخاذه.

> **ترحيب الرئيس الأميركي دونالد ترامب بلقاء الرئيس الإيراني حسن روحاني لا يعدو كونه استعراضا لا يعول عليه في ظل بقاء الشروط الأميركية أساسا لأية مفاوضات بين الطرفين**

لا يرغب روحاني في لقاء ترامب لأنه لا يريد أن يستعرض ضعفه ويبدو على حقيقته باعتباره دمية. لا يملك روحاني أن يقول شيئا في ما يتعلق بالشؤون التي هي من اختصاص المرشد الأعلى والحرس الثوري. ذلك ما يعرفه ترامب وما ترى فيه الإدارة الأميركية مناسبة للتشهير بإيران.

بالنسبة للإيرانيين فإنهم سينتظرون مناسبة أفضل لعقد قمة بين رئيسهم ورئيس الدولة التي يعتبرونها الشيطان الأكبر.

ولكن انتظارهم سيطول. ذلك لأن أحدا من الأوروبيين لا يفكر في إقناع الولايات المتحدة بالتخلي عن شروطها.

دخيلك يا إسرائيل

علي الصراف
كاتب عراقي

لم يبق لحزب الله في لبنان سبيل لإيصال الرسائل المناسبة لإسرائيل إلا واتبعه. فمن التسريبات إلى التصريحات المعلنة، تكررت الرسالة نفسها، لتقول "نحن، وإن كنا نريد أن نقوم بردّ على هجمات الطائرات المسيرة الإسرائيلية، إلا أننا لا نريد حربا. وكل ما نسعى إليه هو إثبات الوجود، لا إلحاق الأذى".

ولفرط التكرار، وشدة وضوحه، فقد بدا وكأن حزب الله يقول: دخيلك يا إسرائيل، خلينا نضرب حتى ولو برميل قمامة في "ما قبل قبل حيفا" (وليس بعد، بعد) وكل شيء سيكون تمامْ. لأننا لا نريد حربا.

الإسرائيليون تلقوا الرسالة، وعاملوها بتفهم شديد. إذ لا دبابات تحركت، ولا تم استدعاء قوات، وبدا كل شيء هادئا على جبهات القتال، بانتظار اختيار برميل القمامة الذي سيقصفه حزب الله. وحالما تصل الإحداثيات المطلوبة، عبر الوسائل المناسبة، فإن الضربة سوف تتم، فلا تنشب حرب، ويكون كل طرف قد حقق غايته:

إسرائيل أثبتت أن لها اليد الطولى، وحزب الله أثبت أنه موجود. وكان كل شيء على ما يرام.

هذه المخاطبات تكاد تقول شيئا واحدا، هو أن زيف "المقاومة" بلغ من الاهتراء ما يكفي لكي يتحول إلى لعبة تلفزيونية يمارسها حزب الله ليقنع نفسه بأنه قادر على حماية نفسه، وأنه واقف بالمرصاد على حافة تصريح يطلقه حسن نصرالله، ليمارس فيه عنتريات لا عنتر فيها إلا شروح وتوسلات ما بعد بعد التهديد بالرد.

بنيامين نتنياهو نفسه لا يريد حربا أيضا. فهو يقف على حافة انتخابات. وأراد، بدوره أن يمارس لعبته التلفزيونية التي يحسن بحسن نصرالله أن يتفهمها ويتعامل معها بهدوء. قال له: اهدأ، فجاءه الرد بسيطا ومباشرا: لا نريد حربا.

هل هناك "عدوّان" أكثر من هذين قدرة على التفاهم؟

في محيط الهراء التلفزيوني هذا، يدفع لبنان الثمن. فاقتصاده الذي يقف على شفير الهاوية، وقمامته التي لم تستطع كل الطبقة السياسية أن ترفعها، و"حرتقات" التنازع والتصالح بين هذا وذاك، أفقدت لبنان القدرة على النجاة. هذا البلد الذي كان بمثابة سويسرا المنطقة انتهى إلى مأساة، منذ أن خرجت المقاومة من محتواها الوطني، لتتلبس المحتوى الإيراني بصعود وهيمنة حزب الله.

أسأل نفسي، كما يجدر بكل إنسان أن يسأل: هل تركت إيران مكانا لم تحوله إلى خراب؟

> **زيف «المقاومة» بلغ من الاهتراء ما يكفي لكي يتحول إلى لعبة تلفزيونية يمارسها حزب الله ليقنع نفسه بأنه قادر على حماية نفسه، وأنه واقف بالمرصاد على حافة تصريح يطلقه حسن نصرالله**

سقوط ممر طهران بيروت

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

لا يهمّ كثيرا ذلك الضجيج المتفائل الذي شاع في بياريتز في فرنسا حيث اجتماع زعماء الدول السبع حول إيران. فما تخرج عنه الاحتفاليات الدولية سرعان ما يبدده همس الكواليس الحقيقية داخل العواصم المعنية، وأولاها واشنطن وطهران. لكن ما تجدر مراقبته هو لغة النار التي استخدمها المجتمع الدولي برمته من خلال أدوات إسرائيلية لضرب مصالح إيران في العراق وسوريا ولبنان.

تواصل نائب الرئيس الأميركي مايك بنس مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو معبرًا عن دعم بلاده الكامل لحق إسرائيل في أمنها. فعل ذلك أيضا وزير الخارجية مايك بومبيو الذي نقل رسالة تحذير إلى رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري بأن إسرائيل ذاهبة بعيدًا في حربها ضد لبنان إذا لم يضبط التصعيد وتتم السيطرة على تفلته. ولئن يمثل الحراك الأميركي سلوكا كلاسيكيا عتيقا في دعم إسرائيل، فإن صمت العواصم الكبرى، لاسيما تلك التي اجتمع زعماؤها في فرنسا، عن موجة النيران الإسرائيلية التي توزعت ضد مواقع عسكرية إيرانية أو حليفة لطهران من العراق إلى البحر المتوسط، يشي بتواطؤ كامل للمنظومة الدولية، بما في ذلك الصين وروسيا، لتدجين الحراك الإيراني ووضع ضوابط جديدة غير مسبوقة لسلوكه.

برعاية المجتمع الدولي تقوم إسرائيل بهزّ أركان الممر الإستراتيجي الذي تسعى إيران إلى شقّه في السنوات الأخيرة من طهران إلى بيروت. وتشي اندفاعة وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، إلى تعظيم المساعي الفرنسية التي يقودها الرئيس إيمانويل ماكرون والقيام بعملية إنزال دبلوماسية تحت نوافذ اجتماع الـG7، بأن إيران قد فهمت رسائل النار الأخيرة، وأدركت أن قيامها بأي ردّ عسكري لن يجلب لها إلا نارا أوسع وأكثر ضراوة لا يعاندها أي حليف مزعوم لها في هذا العالم.

بدت طهران في الساعات الأخيرة مدركة أن مفتاح الفناء والبقاء لنظامها مرتبط بموقف واشنطن وحده، وأن حركة الشركاء الأوروبيين في الاتفاق النووي، كما مواقف بكين وموسكو، ليست إلا مناورات مرتبكة تنتهي في خوائها إلى أن تكون داعمة لموقف الولايات المتحدة ضد إيران، حتى لو أخذت تلك المواقف أشكالا منتقدة لسلوك الرئيس الأميركي دونالد ترامب منذ انسحابه من اتفاق فيينا.

أن ينشط ظريف في فرنسا ويدعم الرئيس الإيراني حسن روحاني مسعاه ضد منتقديه في طهران إلى درجة الإعلان عن موافقته على لقاء ما مع نظيره الأميركي، فهذا يعني أن مرشد الجمهورية علي خامنئي يتجرع السمّ على منوال ما فعل سلفه روح الله الخميني لوقف الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينات القرن الماضي. والظاهر أن للسمّ هذه المرة وصفات أخرى بحيث يتم تناوله على جرعات تؤسس لتحوّل المنظومة السياسية الإيرانية برمتها باتجاه الاستعداد لطاولة مفاوضات لن تقود إلا إلى اتفاق دولي جديد في قسوته وتشدده.

وفي تأمل ما يفعله الـ"جنرال وقت" بالمتنازعين، يبدو واضحًا أن إيران تئنُّ تحت وقع عقوبات اقتصادية مؤلمة وتاريخية ومدمرة تجهد طهران لإخفاء معالمها. بدا أيضا أنها تخسر معركة مضيق هرمز، لا بل صارت تعبّر بصبيانية الهواة عن قلقها من الأخطار التي تهدد أمن الملاحة الدولية، وتتطوع بأن تكون جزءا من منظومة إقليمية لحماية أمن المنطقة. كانت أعين طهران تراقب بقلق تقدم الأساطيل صوب المنطقة بقيادة الولايات المتحدة، وأن هذا المنحى يتعاظم كل يوم مقابل سقوط مشاريع أحلاف دولية بديلة.

في تأمل الوقت أيضا يتضح أن المراوحة في حل أزمة واشنطن مع طهران تتيح التوسع في خيارات عسكرية تتولاها إسرائيل لتدمير ما عملت إيران على بنائه خلال عقود. فالمسألة لا تتعلق بالدمار الذي يلحق بالمصالح العسكرية الإيرانية في المنطقة، بل بما تسببه الحملة العسكرية الإسرائيلية المفتوحة منذ سنوات، والتي تتوسع مؤخرا باتجاه العراق، من نشوء مواقف جديدة، لاسيما في بغداد، قد تبتعد عن طهران، وتجاهر بالدعوة إلى "الدفاع عن مصالح العراق"، وتذهب إلى أخذ مسافة واضحة من أجندة إيران، والتبرم من تدخلها ونفوذها داخل الأراضي العراقية مثلا.

بالمقابل لا يبدو أن ترامب في عجلة من أمره. فأن يوافق على حضور لقاء مع نظيره الإيراني حسن روحاني، أو أن يؤجل ذلك إلى أن تنضج "الظروف المناسبة"، فذلك ترف لا تملكه طهران.

يخوض الرئيس الأميركي معركة لتجديد عقده في البيت الأبيض العام المقبل. ليست قضية إيران أساسية داخل حملته الانتخابية، حتى أن السواد الأعظم من كتلته الانتخابية غير معني بالأزمة مع إيران، وربما لا يعرف أين هي إيران على خارطة العالم. لن تقدم تطورات الأزمة مع إيران أو تؤخر في مآلات الانتخابات الرئاسية المقبلة، والمسألة للمفارقة ليست بندًا رئيسيا على أجندة خصوم ترامب في هذه الانتخابات.

إذا ما التقى ترامب بروحاني فذلك مشهد سيعزز من مكانة الرئيس الأميركي ويدعم صحة توجهاته، وإذا رفض ذلك بسبب غياب "الظروف المناسبة"، فإن ذلك أيضا سيعزز من موقفه بصفته الرجل القوي الذي يحمي مصالح بلاده معاندًا العالم أجمع، ويؤكد عدم ارتكابه أي تنازل منذ قراره الانسحاب من الاتفاق النووي.

يشترط روحاني رفع العقوبات للقاء ترامب. الكلام ينمّ عما وصلت إليه مداولات وزير خارجيته مع الفرنسيين لجهة بحث مسألة تخفيف العقوبات من قبل الولايات المتحدة على نحو يحفظ ماء وجه إيران ويمنحها مبررا للتدحرج من عقائد رفض المفاوضات إلى هوة الهرولة إليها. ولن يكون مفاجئا أن توافق واشنطن، التي سبق لوزير خارجيتها أن أبدى استعدادا للذهاب إلى طهران للتفاوض مع إيران، على تليين تشددها وفتح كوّة داخل جدار العقوبات لتسهيل أمر صورة فوتوغرافية تجمع ترامب وروحاني على منوال تلك الصور التي لا تنتهي والتي تجمع رجل أميركا بكيم جونغ أون رجل كوريا الشمالية.

قد تكون الحملة الإسرائيلية العسكرية الداهمة محاولة لكبح المرونة التي تبديها العواصم حيال إيران، غير أنها تجري أيضا وفق موازين المشهد الدولي المرتبطة بهذا الملف، وتجري أيضا بدعم أميركي تفصح عنه رعاية نائب الرئيس. بات ممر إيران الشهير نحو المتوسط خطرا استراتيجيا على أمن إسرائيل. لم يكن كذلك حين أثار العرب أخطاره منذ مقولة العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني في الأردن عام 2004 عن "الهلال الشيعي"، ولم يكن كذلك حين اندفع الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما إلى فرض اتفاقه النووي مع إيران على العالم أجمع عام 2015.

والواضح أن من أسقط حلم الممر الشهير هو إيران نفسها التي أساءت حساب الأمور حين حوّلت العراق من خلال الحشد الشعبي، وسوريا من خلال ميليشياتها، ولبنان من خلال حزب الله، إلى ورشة واحدة متكاملة تهدد أمن إسرائيل. أرادت طهران تعظيم حصتها في المشهد الدولي من خلال تعظيم خطورتها على إسرائيل فافتقدت هذا الرهان.

إذا لم توفر طهران ردا استراتيجيا على تحول إسرائيل الاستراتيجي فستفقد "ممرها" إلى الأبد ويخرج نهائيا من جدول أعمال أي طاولة مفاوضات محتملة. ربما أن "الظروف المناسبة" التي أشار إليها ترامب تحتاج أن تفقد إيران أوراقا أخرى.